Atatürk Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Dergisi
Atatürk University Journal of Faculty of Letters
Sayı / *Number* **60**, **Haziran** / *June* **2018, 121-146**

معاملـــــة النبى صلى الله عليه وسلم لغير المسلمين (مشركو قريش والجزيرة)

Hz. Peygamber'in Gayri Müşriklerle Olan İlişkisi

The Relations of the Prophet (pbuh) with non-Muslims

(Makale Geliş Tarihi: 21. 03. 2018 / Kabul Tarihi: 05. 06. 2018)

Eid FATHİ ABDELLATİF ABDELAZİZ*
Mehmet AKIN**

الملخص

يتناول هذا البحث معاملة النبى صلى الله عليه وسلم لغير المسلمين من مشركى مكة المكرمة والجزيرة العربية ، مستندًا إلى السيرة النبوية الشريفة ، وما جاء فى القرآن الكريم من رواية لأحداثها وتشريعاتها.

الكلمات المفتاحية: النبى صلى الله عليه وسلم،مشرك.

Öz

Bu araştırma Hz. Peygamber'in Mekke-i Mükerreme ve Arap Yarımadası'nda yaşayan müşriklerle olan ilişkilerini siret-i nebi, sünnet ve Kuran-ı Kerim çerçevesinde inceler.

Anahtar Kelimeler: Hz. Peygamber, Müşrik.

Abstract

* Dr. Öğr. Üyesi, Bayburt Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, Arap Dili ve Belagati Bölümü; *Assist. Prof. Dr., Bayburt University, Faculty of Theology, Department of Arabic Language and Literature* efethi@bayburt.edu.tr; ORCID ID: https://orcid.org/ 0000-0002-0927-5129

** Öğr. Gör., Ankara Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, Temel İslam Bilimleri Bölümü; *Prelector,* Ankara University, *Faculty of Theology, Department of Basic Islamic Sciences,* akinmehmet55@hotmail.com; ORCID ID: https://orcid.org/0000-0002-3186-6996

This study investigates the relationship between The Prophet (pbuh) and the non-Muslims living in Mecca and in the Arabian Peninsula in the context of the biography of The Prophet (pbuh), sunnah and the Holy Quran.

Keywords: Hz. Prophet, polytheists.

المقدمة

مما لا شك أن الإسلام جاء هداية للمسلمين ، وقانونًا يضبط حياتهم ومجتمعاتهم ، ويضبط تعاملاتهم مع غير المسلمين فى مجتمعاتهم أو خارجها ، وكان صلى الله عليه وسلم ، خير من تكاملت أخلاقه فى تعاملاته مع كفار قريش ومن والاها من قبائل العرب ، والنصارى ، واليهود ، انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ . [سورة الممتحنة : 8]

ويأتى البحث فى عدة مراحل : المرحلة الأولى :

وهى (المرحلة المكية) والتى تبدأ منذ بداية البعثة ، وحتى الهجرة ، وتبنى هذه المرحلة على الدعوة والإقناع العقلى ، وتوضيح جلال الإسلام ، وعدم استخدام السلاح ، وذلك من خلال استخدام عدة أساليب، منها : الأسلوب الدعوى ، وأسلوب الحوار العلمى والعقلى ، والأسلوب الإعجازى . وتتميز هذه المرحلة بالثبات على الحق فى مواجهة المغريات، والصبر على الأذى.

أولاً : الأسلوب الدعوى :

لما كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرف من اللحظة الأولى من أمر الله تعالى له بالدعوة فى قوله : ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ . وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ . وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [سورة المدثر :1-7 ، وروى حديث طويل فى هذه الآية ، وانظر : البخاري في الكبير 4 / 2 / 57 ، والإمام أحمد في المسند 4 : 378 – 379] عِنادَ المشركين وإصرارهم على التمسك بالقديم، واعتزازهم بآبائهم وأجدادهم وأصنامهم ، وأنهم لن يذعنوا لدعوته ؛ لاعتقادهم أن الإسلام يهدد مصالحهم ويقضى على سيطرتهم على مكة ، فقد بدأ صلى الله عليه وسلم دعوته سرًّا ، بدعوة أقرب الناس إليه ، ومن يـأنس فيهم خيرًا واستعدادًا لقبول الحق والهُدى، فآمن به كثيرون ، من الرجال كأبى بكر رضى الله عنه ، وومن النساء أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ، وبناته صلى الله عليه وسلم ، ومن الأطفال على بن أبى طالب كرم الله وجهه [البداية والنهاية لابن كثير : 3 / 34]، وبعض الضعفاء كبلال بن رباح، وصهيب الرومى، وآل ياسر، وغيرهم . وكان صلى الله عليه وسلم يجتمع بهم سرًّا فى دار الأرقم بن أبى الأرقم على مدى ثـلاث سنوات ، يعلمهم الإسلام . وفى الوقت نفسه كوّن من بعض هؤلاء مجموعات ، لجمع المعلومات عمن يمكن دعوته للإسلام.[السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث لعلي محمد محمد الصلابي : 129/1 - 130]

وما لبث أن اشتد الأمر عليه صلى الله عليه وسلم عندما أمره الله تعالى بإعلان الدعوة بقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء : 214]؛ حيث حاول إقناعهم بكل الطرق ، فقوبل بالرفض والإعراض والغلظة . وقد تجلى ذلك فى قول أبى لهب : تبًّا لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا ؟ فأنزل الله تعالى قوله : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [صحيح البخاري- كتاب التفسير- سورة الشعراء ، رقم (4770). وسورة المسد : 1- 2]

وبالرغم من استمراره صلى الله عليه وسلم فى الدعوة لأهله وأهل مكة ، عشر سنين ، فإنه لم يؤمن معه إلا قليل منهم ؛ فخرج إلى الطائف، لدعوتهم ، وكلما مر على قبيلة دعاها إلى الإسلام، فلم تجبه واحدة ، فلما انتهى إلى الطائف كلم أشرافهم ، فأخرجوه ، وتبعه السفهاء يرمونه بالحجارة [الرحيق المختوم : 100] .

ومع ذلك فقد استمر النبى صلى الله عليه وسلم فى دعوته ، ولم يكن يسمع صلى الله عليه وسلم بقادم إلى مكة ، له اسم وشرف إلا دعاه إلى الله ، وعرض عليه الهدى والحق، كما فعل مع سويد بن الصامت، وأبى الحيسر بن رافع [السيرة النبوية لابن هشام : 40/2- 41] ويدعو من يأتى من العرب إلى مكة في المواسم يقول: "من يؤويني؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟" حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو مصر، فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتننك [مستدرك الحاكم : 622/2 ، صحيح ابن حبان : 172/14 ، رقم : 6274 ، السنن الكبرى للبيهقى : 146/8]، ويمشى وراءه عمه يحذر الناس منه ؛ ولهذا رأى صلى الله عليه وسلم أن يقابل تلك القبائل في منازلهم في الليل، حتى لا يحول بينه وبينهم حائل ، فأتى كلبًا وبني حنيفة، وبني عامر [البداية والنهاية لابن كثير : 140/3]، وبذلك ابتعد عن مطاردة مشركى قريش. كما كان أبو بكر وعلي رضي الله عنهما يرافقانه ، حتى لا يُظَنُّ أنه وحيد بلا أعوان ، وساعدته معرفة أبي بكر بأنساب العرب ، في التعرف على معادن القبائل وقوتها. [السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، ص116.]ويؤكد ذلك اختياره لبني عامر؛ لعلمه أنها قبيلة كبيرة العدد، وكذلك بني شيبان. [البداية والنهاية :143/3: 145، وسُبُل الهدى والرشاد :596/2: 597] .

وحصر النبى صلى الله عليه وسلم طلب النصرة فى الزعماء ، وذوي الشرف والمكانة ، ورفض أن يعطي لهم ضمانات تمنحهم شيئًا من الحكم والسلطان, فيما بعد فقال: "الأمر لله يضعه حيث يشاء". [السيرة النبوية لابن هشام : 424/1 ، الروض الأنف : 237/2 ، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين لمحمد بن عفيفي الخضري : 55]. كما كان صلى الله عليه وسلم يريد أن يكون أهل النصرة غير مرتبطين بمعاهدات تتناقض مع الدعوة؛ لأن ذلك يعرِّض الدعوة لخطر الجهات التي تجد في الإسلام خطرًا عليها وتهديدًا لمصالحها [الجهاد والقتال في السياسة الشرعية :412/1].

وكانت البداية المثمرة مع جماعة من الخزرج في موسم الحج, عند العقبة فى منى، حيث عرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، فأجابوه ، وصدقوه وأسلموا؛ فانتشر بينهم الإسلام [البداية والنهاية : 147/3 -149].

أسلوب الحوار العقلى :

لم يكن أهل الشرك ليقفوا أمام انتشار الإسلام مكتوفى الأيدى ، بل حاولوا مجادلته ومحاورته ، ولكن حال الحسد والحقد بينهم وبين الإيمان به ، كما قال تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [سورة الأنعام : 25] .

وعرض القرآن الكريم مجادلاتهم فقال : ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا . قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا.... وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[سورة الإسراء : 88 - 92].

وقد استمروا فى مجادلتهم للنبى صلى الله عليه وسلم ، كما استمر صلى الله عليه وسلم فى ردوده عليهم ، فيروى أن عبد الله بن أُبَي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعظْم حائل فكسره بيده، ثم قال: يا محمد كيف يبعث الله هذا وهو رميم؟ فقال: يَبْعَثُ اللهُ هَذَا، ويُمِيتُكَ ثُمَّ يُدْخِلُكَ جَهَنَّمَ . - وذُكِرَ أنه أُبيَّ بن خلف، وقال آخرون: بل هو العاص بن وائل السَّهمي - فنزل قوله تعالى : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [سورة يس: 78 – 79 ، مستدرك الحاكم : 430/2 ، وتفسير الطبرى : 20 / 553 ، والمسند (310/4) وسنن ابن ماجه برقم (2707)].

ومن مجادلتهم له صلى الله عليه وسلم أيضًا : ما روى من أن اليهود قالوا لكفار مكة : سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان بناؤه، وسلوه عن الروح ما هو، فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم [السيرة النبوية لابن إسحاق : 70/1، الروض الأنف : 52/2 ، الرحيق المختوم : 85]، وكان اليهود يعلمون أن هذه مسألة لا يعلمها أحد، لكنهم أرادوا الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلعله يقول في الروح كلامًا يأخذونه عليه ويستخدمونه في صَرْف الناس عن دعوته ، ولكن خَيَّب الله سَعْيهم ، فكانت الإجابة عن السؤال الأول بداية من قوله تعالى : ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا . قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف: 9 -26]. وجاء الجواب عن السؤال

الثانى بداية من قوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ إلى قوله تعالى : ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [سورة الكهف: 83 - 98]. وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الروح قُلِ الروح مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [سورة الإسراء : 85]. فآمن كثير من أهل الكتاب ؛ لأنها طابقت ما قالته كتبهم [تفسير الشعراوى : 1 / 5292 ، تفسير سورة الإسراء ، آية رقم : 85].

الأسلوب الإعجازى :

إذا كان الله تعالى قد أيد رسله بالمعجزات التى تتناسب مع ما يتقنه أقوامهم ، فإنه تعالى قد أيد النبى صلى الله عليه وسلم بمعجزة القرآن الكريم الخالدة التى تتناسب مع فصاحة العرب ، ولكنهم بالرغم من ذلك عجزوا عن تحديه ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: 23]. وقوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة يونس: 38]. وقوله:﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة هود : 13].

وقد اعترف بعضهم بقوة القرآن الكريم وإعجازه ، وعجزهم أمام فصاحته التى لا يدركها بشر ، كقول الوليد بن المغيرة : والله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته "[شعب الإيمان للبيهقى : 1 / 287 ، مستدرك الحاكم : 507/2].

ولكن لما كانت المادية تغلب على قلوب العرب ، الذين لا يعرفون إلا لغة المال والسلطان ، فقد مالوا إلى المعجزات الحسية التى تتناسب مع عقليتهم المادية ، فقالوا : يا محمد ، إنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدًا ، ولا أقل ماءً ، ولا أشيد عيشًا منا ، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به ، فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهارًا كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب ، فإنه كان شيخ صدق ، فنسألهم عما تقول : أحق هو أم باطل؟ فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك ، وعرفنا به منزلتك عند الله . فقال لهم : ما بهذا بعثت إليكم، إنما جئتكم من الله بما بعثني به ، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله تعالى ، حتى يحكم الله بيني وبينكم [تفسير ابن كثير : 5 / 119 ، وانظر : نهاية الأرب للنويرى :16 /153 ، والروض الأنف للسهيلى : 46/2 ، الرسول صلى الله عليه وسلم لسعيد حوى : 25/8]. وهذا هو قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ

لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ [سورة الإسراء : 90 – 95].

وبالرغم من كثرة سؤال المشركين صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم ببعض المعجزات المادية ، فإنه لم يكن يستجيب لهذه الطلبات التى لم يكن القصد منها سوى بيان عجزه أمام أصحابه والمؤمنين به ، ولم يكونوا ليؤمنوا به مهما جاءهم من معجزات وآيات ؛ لقوله تعالى :﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾[سورة القمر : 1 ، وانظر : تفسير الطبرى : 22 / 565 ، تفسير الظلال : 7 /73]. وقال تعالى :﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ . إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ. وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[سورة الأنعام : 35 -37]. وقال تعالى : ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ [سورة الأنعام : 127].

ويؤكد عدم إيمانهم - ولو جاء إليهم بآية أو معجزة - ما روى أن كفار مكة سألوه آية، فأراهم صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر، حجة على صدق قوله; فقالوا: هذا سحر مستمرّ، سحرنا محمد، فقال تعالى :﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾[سورة الأنعام : 4]. وفى رواية : فقال صلى الله عليه وسلم : اشهدوا" [صحيح البخارى : 4/ 206 ، رقم : 3636.].

كما تحداهم صلى الله عليه وسلم بذكر أمور سوف تحدث ، ومن ذلك قوله تعالى :﴿ الم . غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾[سورة الروم : 1 - 5]. حين غلبت فارس الروم ، وقت الجدل حول العقيدة بين المسلمين والمشركين ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم ؛ لأنهم وإياهم أهل أوثان وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم ؛ لأنهم أهل كتاب [تفسير الظلال : تفسير سورة الروم ، الآية الأولى وما بعدها ، 404/2 ، سنن الترمذى : 5 / 343 ، سنن النسائى : 426/6] .

ومن ذلك مسألة كفر أبى لهب في قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾. فحكم تعالى بأنه سيموت على كفره ، وسيكون مصيره وزوجته النار ، وقد سمع أبو لهب وامرأته الآية ، وعرفوا صِدْقها ، لكنه مع ذلك لم يؤمن ولو نفاقًا ، ليحرجَ رسول الله ويكذِّب القرآن [تفسير الشعراوى : تفسير سورة القمر : 36].

الثبات على الحق :

من المبادئ الأساسية للدعوة الإسلامية الثبات على الحق، كما قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...﴾ [سورة إبراهيم: 27. الأساليب النبوية والعصرية في فك الحصار عن الدعوة الإسلامية بحث مقدم إلى

مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة" المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة: 2-2007/4/3م لرمضان إسحق الزيان ، جامعة الأقصى أبريل/ 2007 ص 506]. وكانت قريش قد اشتدت في عداوة النبى ، فأغروا به سفهاءهم ، فكذبوه وآذوه ، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، وهو مظهر لأمر الله لا يستخفي به ، مبادلهم بما يكرهون من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وبالرغم من أنهم عرفوا صدقه ، وموقع نبوته فيما جاءهم من علم الغيوب ، حين سألوه عما سألوا عنه ، فقد حال الحسد بينهم وبين اتّباعه ، وقال قائل : ﴿لاَ تَسْمَعُواْ لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [سورة فصلت : 26]؛ لأنهم يعلمون أنهم إن ناظروه غلبهم [الرسول صلى الله عليه وسلم لسعيد حوى : 31/8].

وإذا كان صلى الله عليه وسلم قد قابل الاستهزاء والسخرية والإيذاء له ولأصحابه بالصبر ، فقد قابل محاولتهم اغراءه بالسخرية منهم ، ورفضه التام لما يقدمونه ، ومحاولته التأثير على قلوب بعضهم ، وثباته على الحق ، لما روى أن عتبة بن ربيعة ، قال له : يا ابن أخي ، ... إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفًا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك ، وإن كنت تريد به ملكًا ، ملكناك علينا ، وإن كان الذي يأتيك رئيًا تراه ، لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه. فقال: ﴿ حم . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ...﴾ [سورة فصلت : 1 – 5]. فقال عتبة لأصحابه : إني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة ،... قالوا : سَحرك والله يا أبا الوليد بلسانه".[كنز العمال : 400/12 ، 35428، دلائل النبوة للبيهقى : 2/ 79 ، الروض الأنف: 46/2 ، السيرة النبوية لابن هشام : 122/2].

ولما رأى المشركون أنهم لم يستطيعوا ولن يستطيعوا الاستمرار فى مجادلته ولا مجاراته فى محاوراته التى دائمًا ما يظهر عليهم فيها ، حاولوا الضغط عليه عائليًّا ، حيث قالوا لأبي طالب: إن ابن أخيك يأتينا في أفنيتنا وفي نادينا فيسمعنا ما يؤذينا به ، فإن رأيت أن تكفه عنا فافعل . فقال: يا ابن أخي ! إن قومك قد جاءوني وقالوا كذا وكذا ، فأبقِ عليَّ وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت ، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك . فقال صلى الله عليه وسلم : يا عم ! لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ، ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه" [الهيثمي : 6 /14، البداية والنهاية : 3 /42].

وعندما تشاوروا فى دار الندوة وجمعوا أقوى الفتيان من كل القبائل العربية لقتله، فإنه صلى الله عليه وسلم استهزأ بهم وسخر منهم ، عندما خرج عليهم وأخذ حفنة من تراب في يده ، وأخذ الله تعالى أبصارهم عنه فلا يرونه ، ونثر ذلك التراب على رؤوسهم ، وهو يتلو قوله تعالى : ﴿يس . وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ . ... وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ

أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [سورة يس : 1- 9 ، وانظر : السيرة النبوية لابن هشام : 9/3].

الصبر :

وكان بناء الجماعة المؤمنة في المرحلة المكية يتم بهدوء وتدرج وسرية، وكان شعار هذه المرحلة قوله تعالى:﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف: 28].

ومن المعروف أن طريق الأنبياء لم يكن مفروشًا بالورود، ولكنه كان طريقًا طويلاً وشاقًّا، وكان النبى يعرف أن قومه سوف يكذبونه ويسخرون منه ، مثل حال الأنبياء السابقين ، قال تعالى : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [سورة آل عمران:184].

وقال تعالى :﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ . وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ. وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى ﴾ [سورة الحج : 44].

ولهذا كان النبى صابرًا محتسبًا ، يتحمل الإيذاء والمشاق فى سبيل تبليغ رسالته ، بخلق عظيم ، لا يقابل السيئة بالسيئة، انطلاقًا من قوله تعالى :﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [سورة آل عمران : 159].

وكان هذا اللين وتلك السماحة مع المسلمين ، وغير المسلمين على حد سواء ، فهو يتقبل الإيذاء بصبر . وقد روى عن منبت الأزدي قال : "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية وهو يقول : يا أيها الناس ، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا . فمنهم من تفل في وجهه ، ومنهم من حثا عليه التراب ، ومنهم من سبه حتى انتصف النهار" [كنز العمال 35541، وسبل الهدى والرشاد : 452/2 ، والرسول لسعيد حوى : 8 / 6].

وروى لما آذاه أهل الطائف ؛ ناداه جبريل: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . فناداه ملك الجبال وقال : يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين قال :"بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا" [صحيح البخارى : 1180/3 ، رقم 3059 ، وصحيح مسلم : 1420/3 ، رقم 1795 .].

وروى أن مشركى قريش ذهبوا إلى أبى طالب ليأخذ عمارة بن الوليد ، ويسلم إليهم ابن أخيه ليقتلوه ، فرفض أبو طالب وسخر منهم ، فاجتمعت قريش وتشاوروا في أمر قتله؛ فقال جبريل عليه السلام : يا محمد إن الله قد أمر السماء أن تطيعك، والأرض أن تطيعك، وأمر الجبال أن تطيعك، فإن أحببت فمر السماء أن تنزل عليهم عذابًا منها، وإن أحببت فمر الأرض أن تخسف بهم، وإن أحببت فمر الجبال أن تنضم عليهم، فقال صلى الله عليه وسلم : أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب

عليهم [السيرة النبوية لابن إسحاق : 69/1 ، الرسول صلى الله عليه وسلم لسعيد حوى : 8 / 39].

ولكنه كان إذا ما ازداد الإيذاء يتوجه إلى الله تعالى بالدعاء عليهم ، وتهديدهم فيروى أنه لما اجتمع أشراف قريش في الحج وغمزوه ببعض ما يقول . فقال : أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفس محمد بيده ! لقد جئتكم بالذبح . فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وقيعة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، انصرف راشدًا " [صحيح ابن حبان : 14 / 525 ، رقم : 6567 ومجمع الزوائد 16/6 . وابن أبى شيبة 331/7 .].

وروى أن عقبة بن أبي معيط أتى بجزور فألقاه على كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد ، فلما قضى صلاته قال : اللهم عليك بقريش ، عليك بعتبة وعقبة وأبي جهل وشيبة" [صحيح البخارى : 46/5 ، رقم : 3856 ، وصحيح ابن حبان : 14/ 529 ، رقم : 6569].

ولما رأت قريش أن المسلمين قد نزلوا بالحبشة وأصابوا بها أمنًا وقرارًا ، وأن الإسلام أخذ يفشو في القبائل ، كتبوا صحيفةً تعاقدوا فيها ، على أن لا ينكحوا من بني هاشم وبني المطلب ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم ، ثم علقوها في جوف الكعبة، "، فصبر صلى الله عليه وسلم ، ومن معه من المؤمنين ، ومن والاهم من المشركين عصبية لثلاث سنوات عجاف، ورسول الله صلى الله عليه وسلم صابر ، لم يفكر في إيقاف التبليغ والجهر بالدعوة ، وليس هناك بارقة أمل ، فالجزيرة العربية كلها مجمعة على الوقوف ضده مع قريش ، ومع ذلك بقي مستمرًّا لا لقاء ولا مداهنة ولا تنازل، حتى تحركت النخوة فى نفوس بعض رجال قريش فسعوا فى نقض الصحيفة وتمزيقها ، وفى الوقت نفسه أطلع الله تعالى رسوله على أن الأرضة قد أكلت ما كان فيها من جور وظلم وبقي ما كان فيها من ذكر الله. [الروض الأنف : 128/2 ، السيرة النبوية لابن هشام : 195/2 ، الرسول صلى الله عليه وسلم لسعيد حوى : 34/8 - 37] .

وبالرغم من تألم النبى وحزنه الشديد على موت عمه وزوجه خديجة ، فقد صبر على ما أصابه بموتهما ، وعلى ما نالته قريش منه ومن أصحابه ، ولهذا سرَّى عنه تعالى برحلتى الإسراء والمعراج ، كما يؤكد قوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. فعاد أشد قوة وثقة [سورة الإسراء :1، سيرة ابن إسحاق : 69/1].

وبالرغم مما لاقاه من الإيذاء هو وأصحابه ، حتى قُتِلَ بعضهم ، فقد صبروا وثبتوا على الحق ، لما رأوا ثباته وتثبيته لهم ؛ بقوله : "والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم

تستعجلون" [مسند أحمد : 109/5 ، رقم 21095 ، صحيح البخارى :1322/3 ، رقم 3416 ، وسنن أبى داود : 47/3 ، رقم 2649.].

المرحلة الثانية :

وهى (المرحلة المدنية) بداية من الهجرة النبوية ، وحتى فتح مكة ، وهى مرحلة تقوم على شقين : الأول : الدعوة والإقناع العقلي. والثانى : الدفاع عن الدين والمسلمين ولو باستخدام السلاح؛ لقوله سبحانه تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ...﴾[سورة الحج : 39 – 40]، وذلك من خلال :

1 – التعامل مع مشركى قريش والقبائل العربية :

تعددت أساليبه صلى الله عليه وسلم ومعاملته للمشركين فى تلك المرحلة ما بين : الأسلوب الدعوى، والأسلوب السياسى، والأسلوب العسكرى ، والرحمة والرفق وتأليف القلوب :

أولاً : الأسلوب الدعوى :

من المعروف أن النبى صلى الله عليه وسلم ، اتبع الأسلوب الدعوى طوال حياته منذ أن بُعِثَ إلى وفاته، وهكذا كانت سيرته فى المنافقين ، وفق ما أُمِرَ به من أن يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله ، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة ، وأن يُعْرِضَ عنهم ، ويغلظ عليهم ، ونهى أن يصلى عليهم ، وأن يقوم على قبورهم[زاد المعاد : 159/3، وفي ظلال القرآن : 3/ 1432 .]. لقوله سبحانه تعالى : ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة : من 80].

وقوله تعالى :﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [سورة التوبة : 84].

وكان هذا الأسلوب الدعوى هو المتبع أيضًا دائمًا حتى فى حالة الحروب والقتال ، فلم يكن صلى الله عليه وسلم يبدأ حربًا أو قتالاً إلا بعد أن يدعو عدوه إلى الله تعالى ، وإلى اتباع دينه ، أو يخيره بين ذلك وبين دفع الجزية ، أو القتال .

ثانيًا : الأسلوب السياسى :

وكان صلى الله عليه وسلم قد عقد معاهدة بينه وبين يهود المدينة ، يضمن من خلالها حياد اليهود ومشركي المدينة ، في الصراع المتوقع حدوثه بينه وبين قريش وحلفائها، كما وادع بعض القبائل العربية ، كبنى ضمرة وبنى مدلج وجهينة ، وحالفهم على الأمن والأمان وحسن الجوار ، محاولة منه فى كسب حلفاء الإيلاف التجاري القديم إلى جانبه ، تمهيدًا للتعرض لقريش، وإضعافها اقتصاديًّا وتحطيم معنوياتها وهز صورتها في الجزيرة العربية . ومن أجل ذلك ، بدأ فى توحيد صفوف سكان المدينة على اختلاف ميولهم ودياناتهم، وتشكيل سرايا اعتراضية كان من أهدافها : إعلان الحرب على قريش ، تنفيذًا لأمر الله عز وجل :﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ

وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[سورة البقرة: 190]. وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [سورة الأنفال: 39].

ولإشعار أعداء المسلمين بقوتهم، ولإرباك قريش ومن حالفها من العرب ، وتحطيم معنوياتهم ، وتدريب قوات المسلمين على القتال ، وعقد المعاهدات مع حلفاء قريش الذين تخلوا عن حلفهم القديم المسمى بالإيلاف، وبالتالي ضمن النبى صلى الله عليه وسلم حيادية هذه القبائل وعدم نصرتها لقريش ، كما كان يهدف إلى المعاملة بالمثل ؛ فكما أن قريشًا قد استولت على أموال المهاجرين في مكة، كان الاستيلاء على قوافلهم نوعًا من التعويض عما فقدوه من أموال ومتاع [السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة لبريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري : ص74 – 77].

ولأجل هذا امتلك صلى الله عليه وسلم جهازًا إعلاميًّا من الشعراء، كحسان بن ثابت، وعبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك، الذين كانوا يردون على شعراء المشركين عند مهاجمتهم النبى وهجائه ، كما كان للنبى جهاز لجمع المعلومات عن الأعداء، مثل جهاز المخابرات الآن ، وكان من رجاله: بَسبَسة بن عمرو الجُهنى، وطلحةُ بن عُبيدِ الله، وسعيد بن زيد، وعبد الله بن أبى حدرد الأسلمى.

وفي العام السادس للهجرة خرج النبى صلى الله عليه وسلم إلى مكة المكرمة معتمرًا، بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدي وأحرم بالعمرة ، ليعلم الناس أنه خرج زائرًا للبيت ومعظمًا له ، فصدّته قريش ، ولما جاءه خبر مقتل سفيره إلى قريش بايع المسلمين على القتال كما فى قوله تعالى : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا . وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [سورة الفتح : 18 -19].

ولكنه صلى الله عليه وسلم ما لبث أن تصالح معهم فيما عُرف بصلح الحديبية على أن تضع الحرب أوزارها عشر سنين، يأمن فيها الناس ، ومن أتى محمدًا من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم، ومن جاء قريشًا ممن مع محمد لم يردوه عليه، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وأن يرجع فى هذا العام فلا يدخل مكة، وأنه إذا كان العام المقبل خرجوا عن مكة ، فيدخلها بأصحابه ، وأن القبيلة التي تنضم إلى أحد الفريقين تعتبر جزءًا من ذلك الفريق، ومن ثم ، فإن أي عدوان تتعرض له أي من تلك القبائل يعتبر عدوانًا على ذلك الفريق .

ثالثًا : الأسلوب العسكرى :

من المعروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينظر إلى مخالفيه جميعًا نظرة عدائية ، لا تفرق بين معاهد ومحارب وأهل ذمة، ولم يكن ينقض العهود أو يغدر بأعدائه، بل كان يعامل كل فريق بمقتضى ما يربط بينهما من علاقات السلم والحرب، ولقد قال ابن القيم "كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام: أهل صلح

وهدنة، وأهل حرب وأهل ذمة، فأمر أن يتم لأهل العهد عهدهم، وأن يوفي لهم ما استقاموا على العهد، فإن خاف منهم خيانة نبذ إلى عهدهم، ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد، وأمر أن يقاتل كل من نقض عهده، ولما نزلت سورة براءة ببيان حكم هذه الأقسام كلها فأمره فيها أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية أو يدخلوا في الإسلام، وأمره بجهاد الكفار فجاهد الكفار بالسيف والسنان والمنافقين بالحجة واللسان " [زاد المعاد : 3 / 159، في ظلال القرآن : 3 / 1432].

وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ . وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة التوبة: 1-4].

وكان صلى الله عليه وسلم قد حاول إقناع قريش وغيرها من القبائل العربية بالإسلام ، وجابههم وقلل من شأن آلهتهم وسفه عقولهم ، ولكنه بالرغم من التهديدات المتواصلة من قِبَلِهِمْ ، لم يلجأ إلى الحرب والقتال ؛ لأنه لم يؤذن له في الحرب ولم تحلل له الدماء إنما أُمِرَ بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل ، فلما اضطهدت قريش من اتبعه وعذبتهم ؛ حتى فتنوا بعضهم عن دينهم ؛ أُذِنَ لهم بالهجرة إلى المدينة ثم أذن لهم في القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم ، فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ [سورة الحج : 39 – 40].

كما لم يكن أمام النبى بُدٌّ من اللجوء إلى القوة العسكرية إزاء الغطرسة القرشية ، واضطهاد المسلمين، وإخراجهم من ديارهم قسرًا، وملاحقتهم بالأذى وهم فى المدينة، بالإضافة إلى المؤامرات التى كانت تتعاون مع اليهود فيها ، ومن أجل ذلك كله أعد الرسول جيشًا قويًا ، وقاد بنفسه سبعًا وعشرين غزوة، قاتل فى تسع منها، بدأها ببدر، وأحد، والأحزاب، وبنو قريظة، وبنو المصطلق، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف، وأناب بعض أصحابه فى قيادة سبع وأربعين حملة عسكرية. وعلى الرغم من هذا العدد من الغزوات ، فإن عدد الضحايا فيها من الفريقين كان قليلًا، لا يتجاوز أربعمائة قتيل، وكان شهداء المسلمين فى تلك المعارك نحو مائتى شهيد، منهم سبعون قتلوا غدرًا فى بئر معونة، فى حين لم يتجاوز قتلى المشركين المـائتين ، وهذا يدل على حرص النبى على حقن الدماء، وصيانة الأرواح، وحصر الحرب فى أضيق نطاق.

وكان صلى الله عليه وسلم قد بدأ غزواته بخروجه فى غزوة الأبواء ، يريد قريشًا وبني ضمرة بن بكر فوادعته بنو ضمرة، إلى أن سمع المسلمون بتحرك قافلة تجارية كبيرة من بلاد الشام تحمل أمولاً ، لقريش متوجهة إلى مكة ، يقودها أبو سفيان بن حرب ، فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم عيونه ، لجمع المعلومات عن القافلة، ثم ندب أصحابه للخروج وقال لهم: "هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها" [السيرة النبوية لابن هشام : 2 / 61 ، 135/3].

ومن المؤكد أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن في نيته قتال وإنما كان قصده عير قريش، التى كان جزء منها للمسلمين المهاجرين ، والتى استولى عليها مشركو مكة ظلمًا وعدوانًا ، وكان وقع خبر القافلة شديدًا على قريش، التي غضب زعماؤها غضبًا شديدًا ؛ لما يرونه من امتهان للكرامة، وتعريض المصالح الاقتصادية للأخطار إلى جانب انحطاط مكانة قريش بين القبائل ؛ ولذلك خروجوا لمجابهة الأمر، فكانت معركة بدر التى أظهر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الأساليب القتالية الجديدة التي لم يعهدها العرب ، فاتبع في قتاله أسلوبًا جديدًا ، وهو نظام الصفوف ، وكان أسلوب الكر والفر هو المتبع.

فنصرهم الله تعالى كما فى قوله : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة آل عمران :123].

ولما علم صلى الله عليه وسلم باجتماع بني أنمار أو بني ثعلبة وبني مُحَارِب من غطفان، أسرع بالخروج إليهم ، وتوغل في بلادهم حتى وصل إلى موضع يسمى نخل، فلقي جمعًا من غطفان . وبالرغم من أنه لم يكن بينهم قتال، فقد كان لهذه الغزوة أثر في قذف الرعب في قلوبهم ، إذ لم تجترئ هذه القبائل على المسلمين بعدها ، وكانت هذه الغزوة تمهيدًا لفتوح البلدان والممالك الكبيرة ؛ لأن الظروف في داخل هذه البلاد كانت قد تطورت لصالح المسلمين [الرحيق المختوم : 354].

ولما تحالفت قريش مع بنى النضير وغطفان ومن والاهم من العرب على قتال المسلمين فى المدينة فيما عرف بالأحزاب ، حفر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه خندقًا حول المدينة بإشارة من سلمان الفارسى ، ولم يكن العرب على علم بمثله من قبل، وهنا تغير الموقف لصالح المسلمين، بقوله صلى الله عليه وسلم : الآن نغزوهم، ولا يغزوننا [عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني : 25 / 424 ، الروض الأنف : 415/3 ، صحيح البخاري، ، 58/5 رقم 4110.].

ولما علم صلى الله عليه وسلم بموقف القبائل العربية التي تقطن مشارف الشام في معركة مؤتة من انضمامهم إلى الرومان ضد المسلمين، أراد أن يوقع الفرقة بينها وبين الرومان، لتكون سببًا للائتلاف بينها وبين المسلمين، وحتى لا تحتشد مثل هذه الجموع الكبيرة مرة أخرى ، واختار لتنفيذ هذه الخطة عمرو بن العاص ؛ لأن أم أبيه كانت من قبيلة بَلِي ؛ فبعثه إليهم في سنة 8 هـ بعد مؤتة ؛ ليستألفهم. ويقال: نقلت

الاستخبارات أن جمعًا من قُضَاعَة قد تجمعوا، يريدون أن يدنوا من أطراف المدينة، فبعثه إليه [الرحيق المختوم : 370].

ووفقًا لصلح الحديبية كانت خُزَاعَة قد دخلت في عهده صلى الله عليه وسلم، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، وقد كانت بين القبيلتين عداوة في الجاهلية، فلما وقعت هذه الهدنة ، اغتنمها بنو بكر، وأرادوا أن يصيبوا من خزاعة الثأر القديم، فخرج جماعة من بني بكر ، فأغاروا على خزاعة ليلاً ، وساعدتهم قريش فى الأمر ، وسرعان ما أحست قريش وحلفاؤها بغدرها؛ فبعثوا أبا سفيان ليجدد الصلح ، مع النبى صلى الله عليه وسلم الذى رفض ذلك ، بل وغادر المدينة فى شهر رمضان 8 هـ، متجهًا إلى مكة، في عشرة آلاف من أصحابه ، ففتحها ودخلها، كما وعده ربه تعالى بقوله : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾. [سورة الفتح :27 ، الرحيق المختوم :370 – 374]

ثم وصلت الأخبار بأن قبائل هوازن وثقيف قد تجمعوا فى وادى حنين لمحاربة المسلمين ؛ فحاربهم صلى الله عليه وسلم فنصرهم الله تعالى وقتل النبى صلى الله عليه وسلم منهم عددًا كبيرًا، وأسر نحوًا من ستة آلاف، وغنموا غنائم كثيرة ، وفرت فلولهم وتحصنت بالطائف فحاصرهم نحوًا من ثلاثة أسابيع، ثم رفع الحصار عنهم . وفى ذلك يقول تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ* ثُمَّ أَنَزلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ﴾ [سورة التوبة: 25 -26 ، انظر : الروض الأنف : 262/4 ، الرحيق المختوم : 408 ، سيرة ابن هشام : 5 / 162 ، البداية والنهاية : 402/4].

ولم يكن صلى الله عليه وسلم يسمع بمن يريد كيدًا للإسلام إلا أرسل من يأتيه به أو يحاربه أو يقاتله ، ومن ذلك سرية ذات أطلح في سنة 8 هـ فى قُضَاعَة ، وسرية ذات عِرْق إلى بني هوازن [الرحيق المختوم للمباركفورى : 357].

*** الرحمة والرفق وتأليف القلوب :**

اختلفت معاملته صلى الله عليه وسلم لأسرى المشركين فى بدر عما عهده العرب فيما بينهم من معاملة فى الحروب ، وذلك أنه لما انتهت المعركة ، أحسن إلى جثث القتلى بمواراة جيفهم ، ثم وقف عليهم فقال:" هل وجدتم ماوعدكم ربكم حقًّا، فإني وجدت ماوعدني ربي حقًّا" [مسند أحمد :219/3 ، رقم 13320، وصحيح مسلم : 2203/4 ، رقم 2874. والنسائى فى الكبرى : 665/1 ، رقم 2202، وانظر: محمد رسول الله، لصادق عرجون 454/3. وزاد المعاد : 187/3 . والأساس في السنّة وفقهها السيرة النبوية 479/1 .].

كما كانت معاملة النبى صلى الله عليه وسلم للأسرى تحفها الرحمة والرفق ، والحزم والشدة أحيانًا ؛ ولذلك تعددت أساليبه وتنوعت طرق تعامله ، فهناك من قتله، وهناك من قَبِلَ الفداءَ فيه ، ومَنَّ على بعضهم، واشترط على بعضهم تعليم عشرة من أبناء المسلمين ، وكان قد استشار أصحابه فى الأسرى ، فاختلفوا فى آرائهم ، فقال أبو بكر: هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم إلى الإسلام. وقال عمر بن الخطاب: .. أرى أن تمكننا منهم، فنضرب أعناقهم ... فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديده، فهوى النبى صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر فنزل قوله تعالى:﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [سورة الأنفال: 67-68، وصحيح مسلم، 1383/3.].

وفي رواية قال :" أنتم عالة فلا ينفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق". فقال ابن مسعود : يا رسول الله إلا سهيل ابن بيضاء فإنى سمعته يذكر الإسلام . فسكت صلى الله عليه وسلم ثم قال:" إلا سهيل ابن بيضاء " [والحديث أخرج بألفاظ متقاربة فى مسند أحمد :383/1 ، رقم 3632 ، وسنن البيهقى الكبرى 321/6 ، رقم 12623].

وكان سعد بن معاذ لما شرع الصحابة في أسر المشركين كره ذلك، ورأى صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجهه فقال : "والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم". قال : أجل والله يارسول الله، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان بالقتل أحب إليَّ من استبقاء الرجل [الروض الأنف للسهيلى : 73/3 ، السيرة النبوية لابن هشام : 176/3].

ولما رجع إلى المدينة ، فرق الأسرى بين أصحابه، وأوصاهم بهم خيرًا ؛ حتى قال أبو عزيز بن عمير : كنت في الأسرى يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم :"استوصوا بالأسارى خيرًا، وكنت في نفر من الأنصار فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر وأطعموني البُرّ"[مجمع الزوائد :86/6 . وقال : رواه الطبراني في الصغير والكبير وإسناده حسن].

وهذه الرحمة هى التى دفعته إلى أن يجعل فداء بعض الأسرى تعليم غلمان المسلمين القراءة والكتابة ، وكل من يُعَلم عشرة يفدي نفسه، فكان صلى الله عليه وسلم أول من وضع حجر الأساس في إزالة الأمية وإشاعة القراءة والكتابة. كما حفظ جوار المطعم بن عدي ، فقال :"لو كان مطعم بن عدي حيًّا، ثم كلمني في هؤلاء النتن لأطلقتهم له" [السيرة النبوية لأبي شهبة :164/2، 165.].

ولم يكن صلى الله عليه وسلم يحب التمثيل بالأسرى ورفض ذلك ، فيروى أن عمر بن الخطاب قال له دعني أنزع ثنيتى سهيل بن عمرو ، وَيَدْلَعْ لسانُهُ فلا يقوم عليك خطيبًا في موطن آخر؟ فقال: "لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبيًّا" ثم قال :"

إنه عسى أن يقوم مقامًا لا تذمه" [الروض الأنف : 100/3 ، سيرة ابن هشام : 200/3 ، سبل الهدى والرشاد: 70/4 ، البداية والنهاية 311/3].

وعندما رأى النبى صلى الله عليه وسلم امرأة مقتولة ، أنكر ذلك ونهى عن قتل النساء والصبيان [مسند أحمد:488/3 ، رقم 16035، والنسائى فى الكبرى :187/5 ، رقم 8627، وابن ماجه :948/2 ، رقم 2842 ، والطبرانى: 72/5 ، رقم 4617، وأبو داود :53/3 ، رقم 2669 ، وابن حبان :110/11، رقم 4789، والحاكم :133/2 ، رقم 2565].

وكانت رحمته صلى الله عليه وسلم ولينه فى معاملته للمشركين ، مصدر جذبٍ لقلوبهم ؛ لأنهم لم يتعودوا ذلك من العرب من قبل؛ فحين نزل صلى الله عليه وسلم عند عودته من غزوة قِبَلَ نجد ، تحت شجرة فعلق بها سيفه . فجاء رجل من المشركين : فاخترط سيف رسول الله ، فقال : أتخافني ؟ قال : لا، قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : الله. فسقط السيف من يده، فأخذه صلى الله عليه وسلم، فقال : من يمنعك مني ؟ قال: كن خير آخذ، قال : تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ قال الأعرابي : أعاهدك على ألا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلي سبيله، فجاء إلى قومه، فقال : جئتكم من عند خير الناس [الروض الأنف: 114/3 ، سيرة ابن هشام : 214/3 ، صحيح البخارى : 40/4 رقم : 2910 ، صحيح مسلم : 567/1 ، رقم : 843] .

ولما كان النبى صلى الله عليه وسلم بالأبواء لقيه ابن عمه أبو سفيان ابن الحارث وابن عمته عبد الله ابن أبي أمية، فأعرض عنهما، لما كان يلقاه منهما من الأذى ، فقالت له أم سلمة : لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك . وقال على لأبي سفيان بن الحارث : ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قِبَلِ وجهه، فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف :﴿ قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [سورة يوسف : 91]، فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولاً . ففعل أبو سفيان ذلك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :﴿قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [سورة يوسف : 91 ، الرحيق المختوم : 376] .

وكان صلى الله عليه وسلم حريصًا على السلام رحمة منه بالناس ، ومن ذلك ما حدث في معركة الأحزاب في السنة الخامسة ، حيث حاصر المشركون المدينة المنورة، فلما اشتد على المسلمين الحصار والبلاء بعث إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المرى، قائدي غطفان في جيش الأحزاب وعرض عليهما ثلث ثمار المدينة، على أن يرجعا بمن معهما عن أصحابه [الروض الأنف: 417/3 ، ومعرفة الآثار والسنن للبيهقى : 13 / 410 ، شعب الإيمان : 14 / 420].

وهذه الرحمة هي نفسها التى جعلته يعفو عن قريش ومشركيها ، بعدما فتح مكة وتمت سيطرته عليها، وتمكن من صناديدها الذين فعلوا به وبأصحابه ما فعلوا، وكان قد حرص على دخول مكة بدون قتال؛ وكانت أوامره صريحة لجيشه، ألا يقاتلوا إلا إذا قوتلوا ، ودخل مكة فاتحًا منتصرًا، ولم تحمله نشوة النصر على الانتقام

ممن أساء إليه، بل قال لهم : «ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا : خيرًا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم. قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء [سنن البيهقي الكبرى : 118/2 ، معرفة السنن والآثار: 391/12 ، جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير : 319/2 ، الروض الأنف : 170/4 ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض : 110/1،].

ولما شرع صلى الله عليه وسلم فى تقسيم الغنائم ، وصل إليه وفد من هوازن يرجوه إطلاق سراح النسوة والأطفال ، فلبى طلبهم ؛ لأنه كان ينشد في ذروة انتصاره أن يكسب الناس أكثر من نشدانه عقابهم وقصاصهم" ؛ ولهذا تأثر مالك بن عوف زعيم هوازن المهزومة بهذا العفو الكريم والخلق العظيم منه صلى الله عليه وسلم ، فمدحه بشعر جيد [السيرة النبوية لابن هشام :144/4، والأخلاق النبوية في الصراعات السياسية والعسكرية لمحمد مسعد ياقوت : ص44].

أسلوب الحزم :

وبالرغم من هذه الرحمة التى كانت تملأ قلبه صلى الله عليه وسلم فقد استخدم أسلوب الحزم، حيث أمَّن الناس على أموالهم ودمائهم ، إلا طائفة منهم بسبب جرائم ارتكبوها ضد المسلمين، وهم عبد العزى بن خطل، وعبد الله بن سعد ابن أبي سرح، والحارث بن نفيل بن وهب، وعكرمة بن أبي جهل، ومقيس بن صبابة، وهبار بن الأسود، وقينتان- لابن خطل كانتا تتغنيان بهجاء النبي ، وسارة مولاة بني عبد المطلب ، وهي التي وجد معها كتاب حاطب . فأما ابن أبي سرح ، فجاء به عثمان بن عفان ، وشفع فيه فحقن دمه، وأما عكرمة ففر إلى اليمن فاستأمنت له امرأته، فرجع وأسلم ، وأما ابن خطل فكان متعلقًا بأستار الكعبة فجاء رجل فقتله، وأما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبد الله، وأما الحارث فقتله علي ، وأما هبار بن الأسود الذي نخس ناقة زينب ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم فسقطت وأسقطت جنينها، ففر يوم فتح مكة ، ثم أسلم، وأما القينتان فقتلت إحداهما، واستؤمن للأخرى فأسلمت كما استؤمنت لسارة وأسلمت [سنن الدارقطنى : 167/4 ، جامع الأحاديث للسيوطى : 32 / 494 ، رقم : 35623 ، كنز العمال للهندى : رقم : 30190 ، مجمع الزوائد للهيثمى : 246/6 ، دلائل النبوة للبيهقى : 82/5].

وكان صلى الله عليه وسلم رحيمًا يعفو عن الأسرى الفقراء ، ولكنه كان حازمًا شديدًا لا يقبل خيانة أحدهم ، فيروى أنه أطلق سراح أبي عزة الجمحي بعد أسره فى معركة بدر الكبرى ، وكان محتاجًا قال : يارسول الله ، لقد عرفت مالي من مال وإني لذو حاجة وذو عيال فأمنن علي. فمنّ عليه وأخذ عليه أن لايظاهر عليه أحدًا ، ثم نقض العهد ، فلما أُسِرَ يوم أحد ، طلب من النبى أن يمن عليه مرة أخرى فقال صلى الله عليه وسلم : "لا أدعك تمسح عارضيك وتقول خدعت محمدًا مرتين" ثم أمر به فضربت عنقه". وذلك لأن الحزم هنا أولى [البداية والنهاية : 313/3].

وكان كعب بن زهير يهجو النبي صلى الله عليه وسلم فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه ، فضاقت عليه الدنيا بما رحبت ، فكتب بُجَيْر بن زهير إلى أخيه أن رسول الله قتل رجالاً بمكة ممن كانوا يهجونه ويؤذونه، ومن بقي منهم هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فَطِرْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لا يقتل أحدًا جاء تائبًا، فجاء المدينة ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته [الرحيق المختوم : 441].

وروى أنه قال مَنَ لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله فقال محمد بن مسلمة أتحب أن أقتله يا رسول الله ؟ قال : نعم . فلم يزل به حتى استمكن منه فقتله [صحيح البخارى :1102/3، رقم 2867، ومسلم :1425/3 رقم 1801، وطبقات ابن سعد 31/2، وزاد المعاد 191/3].

ولما جمع حيى بن أخطب الأحزاب فى الخندق أتى به وابنه فضربت أعناقهما [السنن الكبرى للبيهقى : 6/ 323 ، رقم : 13235، جامع الأحاديث للسيوطى : رقم : 44524].

أسلوب الحرب النفسية :

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستخدم الحرب النفسية فى تعامله مع المشركين سواء فى المرحلة المكية أو المرحلة المدنية ، ومن ذلك ما قام به المسلمون بمكة من استعراض عندما خرجوا إلى الكعبة أمام قريش ، فكان لهذا الاستعراض أثره فى نفوسهم ، حيث أصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها [ابن سعد في الطبقات، 270/3].

ومن ذلك أيضًا قوله صلى الله عليه وسلم لأبى دجانة عندما أخرج عصابة حمراء فعصب بها رأسه، وراح يتبختر بين الصُّفوف في غزوة أُحد : إنَّها لمشية يبغضها الله إلاَّ في مثل هذا الموطن [سيرة ابن هشام: 21/3].

ومن ذلك دخوله صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضاء راكبًا على ناقته القصواء، وقد توشَّح المسلمون السيوف، وقد أمرهم أنْ يرملوا الأشواط الثلاثة، وأنْ يمشوا بين الرُّكنين، ليرى المشركون قوتهم ، وكان المشركون قد قالوا : إنَّه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمى يثرب فقال المشركون: "هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم؟! ": نعم، هؤلاء أجلد من كذا وكذا" وجاء في بعض الروايات أنهم أجلد من الغزلان [صحيح البخاري، 218/1، 611/2، صحيح مسلم، 412/1]. وهو قوله تعالى : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [سورة الفتح :27].

وعندما دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة ، وعبد الله بن رواحة يرتجز: قال عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله!! وفي حرم الله تقول الشِّعْر؟ فقال : "خَلِّ عنه يا عمر، فلهو أسرع فيهم من نضح النَّبل" [سنن الترمذي : 107/2].

ومن المعروف أن الخدعة من أساليب الحرب النَّفْسِيَّة ، وقد مارسها المسلمون في صدر الإسلام ، مما زعزع ثقة المشركين في أنفسهم ، ومن ذلك قصة نعيم بن مسعود في غزوة الأحزاب وتخذيله بني قريظة عن المشركين ، فخذلهم الله، ولهذا قال ، صلى الله عليه وسلم : إنَّما الحرب خدعة [سيرة ابن هشام: 140/3-141، صحيح البخاري في كتاب الجهاد، رقم 157، باب الحرب خدعة، وصحيح مسلم في كتاب الجهاد رقم 18] .

ومن ذلك : القضاء على مصدر الفتنة ، ويشهد على ذلك ما تم في مسجد الضرار الذى بناه جماعة من منافقي المدينة ، بقرب قباء، فبعث ، صلى الله عليه وسلم ، مَنْ هدمه؛ لقوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [سورة التوبة :17 -18].

ومن ذلك : استمالة غير الأعداء، ويتبيَّن ذلك من خلال تعاطف المسلمين مع الروم عندما غُلِبَت الروم، وهم أهل كتاب، أمام الفرس، وهم مجوس، فبشَّر القرآن بأنَّ النصر سيكون لأهل الكتاب، فى قوله تعالى : ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الروم :1 -4]وفي ذلك استمالة لهم ؛ لأنَّ أصل الدِّين واحد ، وهم بذلك أقرب إلى المسلمين ممن سواهم.

ومن ذلك : عندما خرج النبى صلى الله عليه وسلم لفتح مكة المكرمة ، وجهّز جيشه واستنفر المسلمين ، وانطلقوا نحو مكة ، خرج أبو سفيان ليعرف الخبر، وعندما وصل إلى رسول الله قال له : ويحك يا أبا سفيان، أما آن لك أنْ تشهد ألا إله إلاَّ الله؟ قال: أشهد ألا إله إلاَّ الله، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا رسول الله . فأمر صلى الله عليه وسلم العباس أن يحبسه بمضيق الوادى. فحبسه حيث أمره ؛ حتى مر صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد فقال : سبحان الله يا عباس من هؤلاء قال : هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولاطاقة . والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيمًا قال : يا أبا سفيان إنها النبوة قال : فنعم إذن . فخرج أبو سفيان يصرخ بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن [السِّيرة النَّبويّة: لابن هشام : 60/5 ، الخصائص الكبرى للسُّيوطيّ : ص 436 ، دلائل النُّبوة للبيهقيّ : 33/5 ، وقفـات مـع فتـح مـكـة من خلال السيرة النبوية لمبارك إبراهيم التّجاني : مجلة جامعة القرآن الكريم ، السودان ، العدد 16 ،1429 هـ = 2008م ، ص 71].

المرحلة الثالثة :

وهى معاملته ، صلى الله عليه وسلم ، لغير المسلمين بعد فتح مكة ، وحتى وفاته ، وهى تقوم على شقين : الأول : دعوة غير المسلمين بالحسنى . والثانى : محاربة من يحارب الإسلام .

وذلك من خلال محورين : الأول : قبائل الجزيرة العربية . والثانى : الفرس.

أولًا : قبائل الجزيرة العربية :

كان العرب يقولون : اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما وقعت غزوة فتح مكة ، سارعوا إلى اعتناق الإسلام ، فلما نزل تحريم مكة على المشركين في السنة التاسعة فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [سورة التوبة : 28 - 29]. قصدت القبائل العربية المدينة ، ودخلوا في دين الله أفواجًا، بعد أن دعاهم الرسول للإسلام وعرض عليهم تعاليمه ، ومن كان يرى فيهم ترددًا أقامهم عنده حتى يروا صلاة المسلمين وأحوالهم ، ومن هذه الوفود : وفد قبيلة عبد القيس، ووفد دَوْس : وكانت وفادتها في أوائل سنة سبع، وكان الطُّفَيْل بن عمرو الدوسي، قد أسلم ورجع إلى قومه، فلم يزل يدعوهم إلى الإسلام، حتى يئس منهم، فرجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم، فطلب منه أن يدعو عليهم ، فقال :" اللهم اهد دوسًا" [صحيح البخارى : 1073/3 ، رقم 2779 ، وصحيح مسلم 1957/4 ، رقم 2524.].

ولما وفد ثقيف في سنة (9 هـ = 631م) ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة في المسجد ؛ ليسمعوا القرآن الكريم ، ويروا صلاة الناس ، وهو يدعوهم إلى الإسلام، حتى سألوه أن يأذن لهم بالزنا وشرب الخمر وأكل الربا، ويترك لهم اللات، وأن يعفيهم من الصلاة، وألا يكسروا أصنامهم بأيديهم، فأبى صلى الله عليه وسلم ، فاستسلموا وأسلموا، واشترطوا أن يتولى بنفسه هدم اللات، فبعث رجالاً لهدم اللات، فهدموها، وأخرجوا حليها، ورجعوا بها إليه صلى الله عليه وسلم [السيرة النبوية لابن هشام : 528/2 ، الروض الأنف للسهيلى : 312/4 ، الرحيق المختوم : 444].

ولما وَفَدَ وفْدُ همدان فى سنة (9هـ = 632م) كتب لهم صلى الله عليه وسلم كتابًا ، وأمَّر عليهم مالك بن النَّمَطَ، واستعمله على من أسلم من قومه، وبعث إلى سائرهم خالد بن الوليد يدعوهم إلى الإسلام، فأقام ستة أشهر يدعوهم فلم يجيبوه، ثم بعث إليهم على بن أبي طالب، فأسلموا جميعًا، فكتب علِيٌّ بإسلامهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : "السلام على همدان، السلام على همدان" [السنن الكبرى

للبيهقى : 369/3 ، رقم : 4103 ، معرفة الآثار والسنن للبيهقى : 315/3 ، سبل الهدى والرشاد : 6/ 335 ، والرحيق المختوم : 446].

ووفد بني عامر بن صَعْصَعَة ، وكان فيهم عامر بن الطُّفَيْل وأرْبَد بن قيس ، وكان عامر هو الذي غدر بأصحاب بئر مَعُونة، فلما اقترب الوفد من المدينة تآمر عامر وأربد، واتفقا على الفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فعصم الله نبيه ، وأرسل على أربد صاعقة فأحرقته، وأصيب عامر بغُدَّةٍ في عنقه فمات [الروض الأنف للسهيلى : 346/4 ، الرحيق المختوم : 450]. وفي رواية : أن عامرًا أتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أُخَيِّرُكَ بين خصال ثلاث : يكون لك أهل السَّهْلِ ولي أهل المَدَرَ، أو أكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك بغَطَفَان بألف أشقر وألف شقراء، فطعن في بيت امرأة، فمات [السنن الكبرى للبيهقى : 225/9 ، رقم : 192295 ، مجمع الزوائد للهيثمى : 183/6 ، الرحيق المختوم : 450].

وهكذا تتابعت الوفود إلى المدينة في سنتي تسع وعشر، وقد ذكر أهل المغازي والسير منها وفود أهل اليمن، والأزْد وبني سعد هُذَيْم من قُضَاعَة، وبني عامر بن قَيْس، وبني أسد، وبَهْرَاء وخَوْلان ومُحَارِب وبني الحارث بن كعب وغَامِد ، وسَلامان، وبني عَبْس، ومُزَيْنَة، ومُرَاد، وزُبَيْد، وكِنْدَة، وذي مُرَّة، وغَسَّان، وبني عِيش، ونَخْع .

وتَتَابُع هذه الوفود يدل على مدى ما نالت الدعوة الإسلامية من القبول ، وبسط السيطرة والنفوذ على أنحاء جزيرة العرب وأرجائها، وأن العرب كانت تنظر إلى المدينة بنظر التقدير والإجلال، حتى لم تكن تري محيصاً عن الاستسلام أمامها، فقد صارت المدينة عاصمة للعرب [الرحيق المختوم : 452].

ثانيًا : الفرس المجوس :

أما علاقة المسلمين بالإمبراطورية الفارسية، وهى الدولة الكبرى الثانية فى العالم، فلم تكن بأحسن حال من علاقة المسلمين بالروم، بل كان كسرى أَبْرَوِيز الثانى ملك فارس مغرورًا ومتغطرسًا ، فلم تكد تصل إليه رسالة النبى صلى الله عليه وسلم حتى استشاط غضبًا ومزقها، فدعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم قائلا : مزق الله ملكه، ولم يكتف بذلك، بل أمر نائبه (باذان) على اليمن أن يأتى له بالنبى صلى الله عليه وسلم مقيدًا فى الأغلال، فامتثل (باذان) وأرسل قوة من اليمن إلى المدينة ، فلما جاء رسل باذان أخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن ملكهم قد قُتل ، واحترمهم وأكرم وفادتهم، وحملهم رسالة إلى باذان ، يدعوه إلى الإسلام، فأسلم وأقره النبى على حكمها [فتح الباري : 44/1، معرفة السنن والآثار للبيهقى : 13 / 352 ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض : 328/1، الروض الأنف: 54/1 ، 61 ، 146، 105/4 ، الشفا : 328/1 ، الأخلاق النبوية في الصراعات السياسية والعسكرية لمحمد مسعد ياقوت : ص 8].

أهم نتائج البحث :

يتضح لنا مما سبق فى هذا البحث عدة نقاط نجملها فى قولنا :

1-أن النبى صلى الله عليه وسلم هو نبى الرحمة ، للخلق أجمعين ، وليس للمسلمين فقط ؛ كما قال تعالى :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء : 107.].

2-اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم وانشغاله بإيمان الناس بالله تعالى وبرسالته ، لذلك كان يتألم لإصرارهم على الكفر ، كما قال تعالى : ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ [سورة فاطر : من 8]. وقال : ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [سورة النحل : 127 ، وسورة النمل : 70].

3-تعدد أساليب النبى صلى الله عليه وسلم فى تعامله مع غير المسلمين ، فهو يستخدم الأسلوب الدعوى فى دعوتهم إلى الله ، فإذا ما رأى إصرارهم على الكفر استخدم أسلوب الإقناع العقلى والعلمى ، ثم الأسلوب الإعجازى ، فإذا ما رأى محاربتهم له ولأصحابه استخدم أسلوب الحرب النفسية ، فإذا ما حاربوه بالسلاح ، حاربهم بلا إسراف فى القتل ، ولكن بما يضمن له ولأصحابه الغلبة عليهم ، وأن يملأ قلوبهم رهبة ورعبًا من المسلمين وقوتهم .

4-تعامل النبى صلى الله عليه وسلم بحزم ، إذا ما اشتدت عداوة غير المشركين للمسلمين ، واشتد كيدهم تجاههم، كما فعل مع من أهدر دماءهم . ومع ذلك لم يكن يتأخر فى العفو ، إذا جاءه بعض هؤلاء ، وقد أعلنوا إيمانهم ،كما فعل مع كعب بن زهير وغيره .

5-اختلاف معاملة النبى صلى الله عليه وسلم لغير المسلمين باختلاف المراحل الثلاث ، وذلك أنه قبل الهجرة إلى المدينة ، كان يحتاج إلى الدعوة إلى الله بالحسنى ، وإلى إقناعهم بالمعجزات والعقل بما يدعوهم إليه، أما بعد الهجرة فقد أُمر بالقتال ، لمن خالفه منهم وبخاصة هؤلاء الذين يحاربونه.

6-وتتمثل النقطة الأخيرة ، في طرح هذا السؤال : هل يحق بعد هذا العرض المرَكَّز في معاملة النبي صلى الله عليه وسلم لغير المسلمين ، أن يُتَّهَمَ دينُ الإسلام ، في شخص نبيه صلى الله عليه وسلم ، أو في مبادئه بالإرهاب أو العنصرية ؟ ، بل هل يمكن أن يتقبل أصحاب العقول النيرة والفكر الحر ، حتى من غير المسلمين، ما يثار من وقت لآخر ، من الألوان المتعددة والأشكال المتنوعة للإساءة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ . أعتقد أن أدنى وقفة للتأمل في كيفية معاملة النبي صلى الله عليه وسلم لغير المسلمين ، إضافة إلى رصد معاملة الصحابة من بعده ، بما امتلأت به كتب التاريخ ، أعتقد أن هذه الوقفة المتأملة ، ستفضي إلى نتيجة تؤكد عظمة الإسلام ، وعظمة نبيه صلى الله عليه وسلم ، إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها .

أهم المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر :

1- ابن الأثير : مجد الدين المبارك بن محمد الجزري - جامع الأصول في أحاديث الرسول - تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط - مكتبة الحلواني - ومكتبة دار البيان - الطبعة الأولى: 1969م - 1972م .
2- أحمد بن حنبل : المسند- تحقيق : السيد أبو المعاطي النوري- عالم الكتب - بيروت. الطبعة الأولى ، 1419ه = 1998 م. وتحقيق شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية 1420هـ ، 1999م
3- ابن إسحاق : السيرة النبوية ، بدون بيانات .
4- البخاري (أحمد بن علي بن حجر) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة - بيروت ، 1379هـ .
5- البيهقى أحمد بن الحسين : السنن الكبرى - تحقيق : محمد عبد القادر عطا - مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، 1994م.
6- شعب الإيمان - تحقيق : محمد السعيد بسيوني - دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 ، 1410هـ .
7- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، بدون بيانات .
8- معرفة السنن والآثار - تحقيق: عبد المعطى أمين قلعجى ، ودار قتيبة بدمشق ، الطبعة الأولى 1412 هـ = 1991م .
9- الحاكم النيسابورى أبى عبد الله: المستدرك على الصحيحين – بإشراف يوسف المرعشلى – دار المعرفة، بيروت ، بدون تاريخ .
10- ابن حبان : محمد بن حبان بن أحمد البستي : صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان - تحقيق : شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة – بيروت - الطبعة الثانية ، 1414 = 1993م.
11- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، المقدمة من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأعظم ، المطبعة الشرفية ، بدون بيانات .
12- الدارقطنى سليمان بن الأشعث السجستاني : سنن أبي داود ، دار الكتاب العربي - بيروت ، د ت .
13- ابن سعد محمد بن سعد بن منيع : الطبقات الكبرى - تحقيق : إحسان عباس - دار صادر – بيروت - الطبعة الأولى 1968م .
14 - سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي : الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء.
15- السهيلى : الروض الأنف : تحقيق : عمر عبد السلام السلامي- دار إحياء التراث العربي، بيروت- الطبعة الأولى، 2000م .

16- ابن سيد الناس محمد بن عبد الله : عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير – تحقيق : محمد العيد الخطراوى ، مكتبة دار التارث ، المدينة المنورة ، ودار ابن كثير بدمشق ، بدون تاريخ .
17- جلال الدين السيوطى : جامع الأحاديث جمع عباس أحمد صقر وأحمد عبد الجواد ، دار الفكر ، بدون تاريخ .
18 - الخصائص الكبرى : دار الكتب العلمية - بيروت - 1405هـ - 1985م.
19- ابن أبى شيبة عبد الله بن محمد - الـمُصنف - الدار السلفية ، تحقيق : محمد عوامة - بدون تاريخ.
20 - الصالحى محمد بن يوسف: سُبُل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد.. – تحقيق : مصطفى عبد الواحد – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ، 1418 هـ = 1997م .
21- الطبرى محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل القرآن - تحقيق : أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى، 2000م .
22- الطبرانى سليمان بن أحمد بن أيوب : المعجم الصغير ، تحقيق : محمد شكور محمود الحاج - المكتب الإسلامي , دار عمار - بيروت عمان - الطبعة الأولى ، 1405 = 1985م .
23- المعجم الكبير - تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد - مكتبة العلوم والحكم – الموصل – ط2 ، 1404 هـ = 1983م .
24- القاضي عياض اليحصبي - الشفا بتعريف حقوق المصطفى – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – بدون تاريخ.
25- ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر : زاد المعاد في هدي خير العباد - مؤسسة الرسالة ، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت - الطبعة السابعة والعشرون , 1415هـ =1994م .
26- ابن كثير عماد الدين أبى الفداء : البداية والنهاية – تحقيق : عبد الله عبد المحسن التركى – دار هجر– بدون تاريخ .
27- ابن ماجه محمد بن يزيد - سنن ابن ماجه - تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، بدون تاريخ .
28- مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم - بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، 1419هـ = 1998م .
29- النسائى أحمد بن شعيب النيسابورى : سنن النسائي الكبرى – تحقيق : حسين عبد المنعم شلبى – مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان – الطبعة الأولى ، 1421هـ = 2001م .
30- ابن هشام عبد الملك - السيرة النبوية : تحقيق : طه عبد الرءوف سعد - دار الجيل - بيروت – 1411هـ.

ثانيًا أهم المراجع :
1- بريك بن محمد بريك : السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة: تحقيق : أكرم ضياء العمري - دار ابن الجوزي - الطبعة الأولى - جمادى الأول - 1417 هـ - 1996م .
2- جمعة علي الخولي: معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم لبني قريظة، والرد على ما يثار حولها من شبهات، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد 57 .
3- رمضان إسحق الزيان : الأساليب النبوية والعصرية في فك الحصار عن الدعوة الإسلامية بحث مقدم إلى مؤتمر "الإسلام والتحديات المعاصرة" المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية في الفترة: 2-2007/4/3م ، جامعة الأقصى أبريل/ 2007 م.
4- سعيد حوى : الأساس في السنّة وفقهها السيرة النبوية ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 1995م .
5- سعيد بن علي بن وهف القحطاني : الجهاد في سبيل الله فضله، ومراتبه، وأسباب النصر على الأعداء ، بدون بيانات.
6- سيد قطب : فى ظلال القرآن الكريم – دار الشروق – القاهرة – الطبعة 32 – 1423هـ = 2003م.
7- الشعراوى محمد متولى : تفسير الشعراوى - دار أخبار اليوم بالقاهرة – 1991م .
8- أبو شهبة (محمد محمد أبو شهبة) : السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة – دار القلم – دمشق .
9- علي عيسى عبد الرحمن أساليب الحرب النفسية فى الإسلام وخصائصها ، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، جامعة أم درمان الإسلامية (السُّودان). العدد 14 ، سنة 1428هـ = 2007م .
10- علي محمد محمد الصلابي : السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، بدون بيانات .
11- مبارك إبراهيم التّجاني : وقفـات مـــع فتـــح مـــكـة من خلال السيرة النبوية : مجلة جامعة القرآن الكريم ، السودان ، العدد 16 - 2008م .
12- المباركفورى : الرحيق المختوم- دار الوفاء بالمنصورة – مصر- الطبعة 17 ، 1426 هـ = 2005م.
13- محمد صادق عرجون : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهج ورسالة ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ، 1995م.
14- محمد بن عفيفي الخضري : نور اليقين في سيرة سيد المرسلين: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين - تحقيق : هيثم هلال - دار المعرفة بيروت- لبنان - الطبعة الأولى، 1425هـ= 2004م 0

15- محمد مسعد ياقوت : الأخلاق النبوية في الصراعات السياسية والعسكرية ، بدون بيانات .